ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

واقع العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي

Aspects of political relations between the Almoravid state and Western Sudan

مزردي فاتح، طالب دكتوراه ل. م. د تاريخ وسيط، جامعة البليدة 2
ef.mezerdi@univ-blida2.dz

الدكتور جهينة بوخليفي قويدر، جامعة محمد خيضر بسكرة
bk.jouhina@univ-biskra.dz

تاريخ الاستقبال:2020/01/19 تاريخ القبول:2020/03/25 تاريخ النشر: 2020/09/30

الملخص باللغة العربية:

يكتسي تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي أهمية كبيرة في مسار حركة التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط لما يتميز به من صفحات مشرفة وأحداث بارزة، وتعتبر الدولة المرابطية (448-541هـ/1056-1147م) واحدة من أهم الدول في بلاد المغرب الإسلامي التي لديها ارتباط وثيق بكل القوى السياسية المحيطة لاسيما بلاد السودان الغربي ؛ الذي ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام وبث الثقافة الإسلامية في ربوعه وبين الشعوب الزنجية، فكانت لها علاقات كبيرة في كل المجالات خاصة منها السياسية، فما هو واقع العلاقات السياسية المرابطية مع السودان الغربي ؟

الكلمات المفتاحية: المرابطون؛ السودان الغربي؛ العلاقات؛ التكرور؛ السوننك؛ غانة.

Abstract :

The history of the Islamic Maghreb is of great importance in the course of the medieval Islamic history movement . The Almoravid state (448-541 AH / 1056-1147 AD) is one of the most important states in the Islamic Maghreb, Which has a great connection with all the political forces surrounding, especially the states of Western Sudan, And it contributed greatly to the spread of Islam and Islamic culture throughout the black skin peoples, it had great relations in all fields, especially political ones. What is the reality of the Almoravid political relations with Western Sudan?

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

key words : Almoravids; West Sudan; Relations; Tekrour; Sonunck; Ghana.

1. مقدمة:

ساهمت قبيلة صنهاجة الجنوب الدور الكبير في تأسيس الدولة المرابطية، التي بذلت جهودا كبيرة لتوحيد أكبر قسم من بلاد المغرب والأندلس والسودان[1] تحت لواء دولة إسلامية سنية مالكية، وبالرغم من أن اتجاه المرابطين في البداية كان باتجاه الشمال وقاموا بإخضاع معظم قبائل الصحراء بعد استغلال حماس العصبية اللمتونية لتوحيد المغرب الإسلامي تحت راية مذهبهم إلا أن زعماء الملثمين الذين كانوا يتولون القيادة العسكرية والسياسية للحركة المرابطية كانوا قد أولوا اهتماما كبيرا ببلاد السودان، ويظهر هذا عندما عاد الأمير "أبو بكر بن عمر اللمتوني" إلى الجهاد وإخماد نار الفتنة والصراعات التي كانت قد بدأت بين الملثمين.

ورغم المكانة التاريخية للمرابطين إلا أنها تعتبر من أكثر فترات تاريخ الغرب الإسلامي غموضا نظرا لضياع وحرق جل المصادر التي تؤرخ لهم، ولأن اهتمام أغلب المؤرخين كان منصبا على الجانب العسكري وسير الأمراء المرابطين ومغازيهم وفتوحاتهم العظيمة ؛ ومن هذا المنطلق كان ضروريا أن نطرق جانبا آخر من تاريخ الدولة المرابطية وهو باب العلاقات السياسية للمرابطين وتسليط الضوء على المكانة المرموقة التي اكتسبتها هذه الدولة خلال القرنين الخامس والسادس الهجري والتعرف على تلك الروابط التي جمعتها مع جيرانها خاصة بلاد السودان الغربي.

ونظرا لما يكتسيه مجال العلاقات السياسية الخارجية لدولة المرابطين من أهمية فقد ارتأينا اختيار الموضوع الموسوم بـ**مظاهر العلاقات السياسية بين دولة المرابطين والسودان الغربي**، وذلك بهدف التعرف على طبيعة وواقع العلاقات السياسية للدولة المرابطية مع السودان الغربي

1) السودان : مصطلح أول من أطلقه المسلمون على الأقوام التي تقطن جنوبي الصحراء الكبرى، وقد أطلقه البكري في القرن الخامس الهجري على الجزء الغربي للصحراء واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان، وهو البلاد التي تقع أقصى المغرب على البحر المحيط والذين يمكن تقسيمهم إلى ثلاث مناطق السودان الشرقي والأوسط والغربي، وقد حدده الوزان بأنه القسم الرابع من إفريقيا يبتدئ شرقا من مملكة كاوكة ويمتد غربا إلى مملكة ولاتة ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي في الجنوب إلى بحر المحيط. ينظر : البكري ، المسالك والممالك، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص. 836 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص. 24.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

واستنتاج أثر النشأة الدينية والطابع الجهادي للمرابطين وأثر النزعة القبلية في تحديد طبيعة العلاقات.

ومن هذا التقديم نطرح الأشكال الرئيسي التالي: ما هو واقع العلاقات السياسية المرابطية مع السودان الغربي ؟ ومن خلالها سنتعرف على دور المرابطين في نشر الإسلام في ربوع السودان الغربي وعلى واقع العلاقات بين المرابطين وممالك السودان الغربي.

وسنتبع في دراستنا الأكاديمية هذه المنهج التاريخي الذي يقوم أساسا على جمع المادة التاريخية وتصنيفها وعرضها حسب التطور التاريخي للأحداث، والمنهج التحليلي الذي تتبعنا من خلاله لأهم المواقف التاريخية وطبيعة وواقع العلاقات السياسية التي يجب شرحها بشكل دقيق لاستخلاص دورها وما مدى أثرها في استقرار واستمرار الدولة المرابطية.

2. دور المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام إلى بلاد السودان الغربي بل إن الإسلام قد وصل إلى المنطقة في أوائل القرن السابع الميلادي[2] فكانت إمبراطورية أودغشت الإسلامية 60هـ/679م التي كونها السوننك أحد فروع الماندنجو بدور كبير في نشر الإسلام خاصة مع بداية القرن التاسع ميلادي أواخر القرن الثاني الهجري، ثم جاء إسلام ملك التكرور "وارجابي بن رابيس"(ت. 432هـ/1040م) فكان عنصرا مهما في ازدياد نشر الإسلام فكان له الفضل في إسلام أهل سلى[3] وغيرها[4].

2) السوننك : السوننك قبيلة تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة وهى من فروع الماند الأساسية ؛ أى مجموعة الشعوب المتكلمة بلغة الماند، اختلطوا بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر، وهو الذي غير بعض الشيء فى ألوانهم. ينظر : إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970، ص. 18.

3) سلى : من أعمال تكرور، أهلها مسلمون، بينها وبين مدينة غانة مسيرة عشرون يوما في عمارة السودان. ينظر : البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص. 172.

4) صلاح آدم عيسى محمد، قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، 448-541هـ/ 1056-1147م، رسالة ماجستير،غير منشورة، إشراف عصام محمود عثمان، كلية الدراسات العليا قسم التاريخ، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2017، ص.ص. 73-74.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

كما كان لتجار الذهب والملح المسلمون القادمين من شمال إفريقيا دورا كبيرا في نشر مبادئ الدين الإسلامي في كل المراكز التجارية التي كانوا يمرون بها خاصة مدينة أودغست وكومبي صالحي وتنبكتووجني وكانوبين إقليم الهوسا وامبراطورية غانة[5]، فقد كان لهم دورا كبيرا في تشييد المساجد والمدارس ويختارون أنجب الشبان لإرسالهم إلى المدارس الإسلامية في بلاد المغرب ومصر.

ولا يمكن إغفال دور الدعاة الذين كان لهم دور مهم في نشر الإسلام وترسيخ تعاليمه بين سكان السودان الغربي[6]، فكان أغلب التجار وطلبة العلم المهاجرين إليه دعاة للإسلام قد تبنوا الطرق السلمية للدعوة امتثالا لقوله تعالى : ﴿... لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ...[7] ﴾ ولقوله ﷺ : ﴿ مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع "[8].

كما كان هذا انطلاقا من روح المسؤولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين تنفيذا لقوله تعالى: ﴿... وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُوَن...﴾[9] فكان هؤلاء أكثر تمسكا بأمر الله وأكثر تشددا واهتماما بأداء واجبهم الديني تجاه سكان بلاد السودان[10].

5) غانة : إسم غانة سمة لملوكها، وإنما إسمها أوكار، وهي مدينتان إحداهما يسكنها الملك والثانية يسكنها الرعية والتجار والسوقة، بينهما الدرو والمساكن متصلة على مسافة ستة أميال، وهي على ضفتي بحر الحلو بينها وبين مدينة ملل اثنتا عشرة مرحلة وإلى غربها مدينة بريسى مسيرة إثنا عشر يوما . ينظر : مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص. 219.

6) صلاح آدم عيسى محمد، المرجع السابق، ص. 84.

7) سورة البقرة، الآية 255 .

8) مالك بن أنس، الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة نالك بن أنس ، إخراج وتعليق هاني الحاج، ج. 2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.، ص. 3.

9) سورة آل عمران، الآية 104.

10) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص. 38.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ولما جاء المرابطون في النصف الأول من القرن الخامس الهجري بدأوا حركتهم من المشارف الشمالية لبلاد السودان بالهجوم على مدينة كومبي العاصمة التجارية لإمبراطورية غانة ؛ هذه المدينة التي لم تستسلم بسهولة وظلت تقاوم الهجوم طويلا استمر لأكثر من اثنان وعشرين سنة[11] ثم توجهوا لإخضاع أودغست في 447هـ/1055م عقابا لها على خضوعها للسوننك وحاكمها[12].

وفي 448هـ/1056م أصبح رباط أودغست مركزا من مراكز الجهاد ونقطة الانطلاق نحو القبائل التي تحاول شق عصا الطاعة على العقيدة الإسلامية، وبعد جهاد طويل وشاق باغتت المنية "يحيى بن ابراهيم" ما جعل الأمير "عبد الله بن ياسين" يعين "أبي بكر بن إبراهيم" قائدا لجيش الصحراء ومواصلة حركة الجهاد حتى وفاة "عبد الله بن ياسين" في 451هـ/1059م ليتحمل بعد ذلك مسؤولية الجهاد في الصحراء[13]، ولم يكن دور المرابطين مجرد القضاء على الصراعات القبلية في الصحراء بل كانت النية فتح باب الجهاد في غرب إفريقيا لنشر الإسلام بين سكان بلاد السودان الغربي ويجاهد الكفار الذين كان معظمهم حتى رحيل الأمير "أبو بكر" إليهم وثنيين[14] وهو الأمر الذي أورده "ابن أبي زرع الفاسي" في أنيسه : << ... فعزم على السير إلى الصحراء ليصلح أحوالهم ويقيم بها ليجاهد الكفار من السودان... وارتحل الأمير "أبو بكر بن عمر" بالنصف الثاني (الجيش) إلى الصحراء في ذي القعدة 453هـ/1061م وجمع جيوشا كثيرة وخرج إلى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر...>>[15]، ويبدوا أن الأمير قد اتجه نحو

11) جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984، ص. 61.

12) ابراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص. 46.

13) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص. 44.

14) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج. 6، مر. سهيل زكار، ط. 4، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص. 245.

15) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 135.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الجنوب الشرقي واستولى على بعض البلاد التي تخضع للوثنيين ذلك أن الجنوب الغربي كان يوجد به مملكة التكرور الإسلامية[16] التي كانت في مناوشات دائمة مع ملك غانة[17].

وقد تابع الأمير "أبو بكر" الجهاد الذي كان قد رسمه له الشيخ "عبد الله بن ياسين" وقدم نفسه كزعيم ديني وسياسي وبدأ مسيرته الجهادية باختراق بلاد تادلة وسجلماسة وسار جنوبا نحو مضارب المتنازعين، واستطاع من أن يعيد للصحراء استقرارها ثم توجه قاصدا جهاد الزنوج من السوننك الخاضعين لمملكة غانة التي كانت تحكم معظم بلاد السودان، ونجح الأمير في إخضاع عدد كبير من قبائل وأراضي بلاد السودان لحكم المرابطين مسيرة ثلاثة أشهر (تسعون مرحلة) أين خيرهم بين اعتناق الاسلام أو دفع الجزية[18].

ثم جمع الأمير قبيلة لمتونة وجماعة من الفولاني[19] ودخل بهم المعركة ضد غانة الوثنية وقد تمكن من السيطرة على حاضرتها كومي صالحي وقتل الكثير من السوننك والباقي منهم اعتنق الإسلام، فأصبحت غانة تحت رحمة المرابطين ابتداء من عام 469هـ/1076م ورغم أن حركة المرابطين قد أدت إلى إضعاف غانة سياسيا إلا أنها كانت بعيدة الأثر في ازدياد انتشار

16) مملكة التكرور الاسلامية : فريق من اهل السودان الغربي يسكنون حوض نهر السنغال الأوسط وأصلهم فرع من فروع الفولاني ، والتكرور ليسوا الماندنجو لكنهم يقترنون بهذا الاسم لأن التكرور قد خضعوا لسلطتهم فترة كبيرة من الزمن وأكبر منطقة اجتمعوا فيها هي منطقة فوتاتورو في السنغال، وفي موطنهم هذا اسلموا على يد عبد الله بن ياسينومن قلب موطن التكرور خرجت شرارة الحركة المرابطية. ينظر : حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، القاهرة، 1981، ص. ص. 108-109.

17) عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص. 103.

18) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص. 101.

19) الفولاني : أصلهم من قبائل تميم وجهينة أصحاب أبقار وأغنام هاجروا من الجزيرة نحو إفريقيا، استقرت تميم في منطقة ليبي وتوجهت جهينة نحو الجنوب إلى أودغست، ثم عادوا إلى الجزيرة موطنهم الأصلي ليرجعوا مع الفاتحين بقيادة "عقبة ابن نافع" ومنهم "عقبة بن عامر التميمي"و"عقبة الجهيني"، وقد اسلم على يدهم ملك غانة "برمندانا" وتزوج "عقبة ابن نافع" ابنته "بجو منغو" في حين تذكر رواية أخرى أنهم من صعيد مصر هاجر أجدادهم نحو الشمال الغربي لإفريقيا ثم نحو بحر المحيط ليستقروا أخيرا في السودان الغربي. ينظر : بوبكي سكينة، الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، 2010، ص. ص. 13-14.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الإسلام وتقوية العقيدة الاسلامية في عامة بلاد السودان[20] ولم تستمر طويلا على إثر وفاة الأمير "أبي بكر" سنة480هـ/1087م حيث أن أتباعه اختلفوا من بعده وكانت الأمور في بلاد المغرب والأندلس قد فرضت على المرابطين التخلي عن أمر الجهاد المقدس في السودان الغربي[21].

وما يمكن أن نستنتجه ونؤكد عليه في الأخير أن للمرابطين رسالة دينية حقيقية وأن جهادهم في السودان مرحلة مشرفة من مراحل الجهاد ضد الوثنية وإعلاء راية الحق والإسلام بين قبائل الصحراء ولم يكن دخولهم لبلاد السودان الغربي وإسقاط حكم غانة الوثنية من أجل الذهب وإنما من الإسلام لأن الدين الإسلامي لم يكن يوما دينا للنهب والسلب بل هو دين الحق الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

3. واقع العلاقات بين المرابطين وممالك السودان الغربي

مما لا شك فيه أن قيام الدعاة واختلاف الرسل وتبادل الخطابات والوفادات بين دولة المرابطين والمملكة الغانية هو وجه للصلة التي كانت بين بلاد المغرب والسودان الغربي، ولو أن كتب التاريخ والمؤرخين دائما ما يخذلوننا للوقوف على أسماء هؤلاء السفراء وتواريخ سفاراتهم وعن المراسلات التي كانت تتم بين الطرفين[22].

ويبدوا أن العلاقة بين الدولة المرابطية وممالك السودان الغربي في البداية قد اقتصرت على الجهاد ونشر الإسلام ونجد أن الأمير "أبو بكر" قد ترك ملك غانة يستمر في حكمه تابعا للمرابطين وهذا يثبت بأن العلاقة بين الطرفين تميزت بالثقة والتبعية ومن الممكن أن هذا الملك قد اعتنق الإسلام وإلا لن يقبل الأمير بإبقائه يحكم غانة باسم المرابطين.

ويظهر دور الأمير في ربط بلاد السودان بالمرابطين عندما قام كعادة الملثمين بنشر بناء الرباطات والمساجد فكثر عدد الذين اعتنقوا الإسلام وتمكن من مواصلة الجهاد وفتح بلاد السودان حتى تمكن من الوصول إلى بلاد وانقارة حيث مناجم الذهب[23]، وهو الأمر الذي ذكره

20) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص. 47.
21) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص. 45.
22) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم "عهد المرابطين"، مج. 5، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1986، ص. 36.
23) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص. 114.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

"ابن أبي زرع الفاسي" << ... بأن استقام للأمير أمر بلاد الصحراء إلى جبال الذهب من بلاد السودان وخلص الأمر من بعده للأمير "يوسف بن تاشفين" ...>> [24].

أما على عهد أمير المسلمين يوسف فيمكن القول أن معظم الغانيين قد اصبحوا الدرع الحصين لبلاد المغرب منذ اعتناقهم للإسلام وناضلوا تحت الراية المرابطية بكل صدق واتسعت بفضلهم دولة الاسلام في الصحراء، وانتقلوا بعد فترة من إسلامهم نحو الشمال ليأخذوا مكانهم بين الاسطول المغربي الذاهب للأندلس لمواجهة النصارى الذين يقودهم "ألفونس السادس" [25].

وانتهزت غانة فرصة استشهاد الأمير "أبي بكر" وانتقال ابنه "ابراهيم" نحو الشمال ليطالب "يوسف بن تاشفين" بملك أبيه وتركه لأمر الجهاد، وأعلنت استقلالها وانفصالها عن الدولة المرابطية وهو الأمر الذي دفع أمير المسلمين لترك أمر الجهاد في الأندلس لبعض الوقت حتى يستعيد الاستقرار لبلاد السودان ويقضي على هذه الحركات الانفصالية المناوئة، وكان يوسف الرمز الحي لمبادئ "عبد الله بن ياسين" وأظهر حبه للجهاد وحرصه على أن يستمر في استقبال الملثمين نحو الشمال للاعتماد عليهم في الجهاد بالأندلس، وهو الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلا إذا استعاد السيطرة على المنطقة فأرسل الجيوش المرابطية لتأديب العصاة والقضاء على أولئك المتمردين ورؤوس الفتنة [26].

اشتهر الغانيون وأغلبهم من السوننك بحماستهم للجهاد ونشر الإسلام فكانت هذه العقيدة ذات أثر عميق في حياتهم، حيث أن الكثير من العشائر قد اشتهروا بذلك وأصبحت كلمة السوننك مرادفة لكلمة داعي وهو ما يثبت دورهم الكبير في هذه المهمة [27].

وفي أوج توهج المرابطين في أواخر القرن الخامس الهجري اعتنق حكام إقليم كانجابا من الماندنجو الإسلام وأخذوا في التوسع وتمديد نفوذهم نحو الشرق والغرب، وقد حملت هذه القبائل الإسلام إلى الحدود الشمالية لمنطقة الغابات وأنشأوا مراكز إسلامية مثل بيجو (Bigo) ومراكز تجارية مثل بوندونكو (Bondunku) والكونج (kong)، وكان نتيجة ذلك أن الإسلام يمتد على مسافة كبيرة من بحر المحيط غربا إلى كانم وبورنو شرقا الذين اعتنقوا الإسلام بكل

24) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص.136.
25) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص. 37.
26) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص. ص. 122-123.
27) ابراهيم علي طرخان ، المرجع السابق، ص. 48.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

صدق وتوسعوا في حركة الجهاد فلم تأت سنة 498هـ/1105م حتى أصبح حكم المرابطين في الصحراء يمتد من السنغال إلى الأبرو[28].

أما على عهد الأمير "علي بن يوسف" الذي سار على نهج أبيه في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله وحماية البلاد وضبط أمور الثغور وتوزيع الأموال وموالاة الجهاد[29]، فكان لابد من أن يحافظ على ما ورثه عن أبيه من دولة كبيرة مترامية الأطراف تمتد من أعالي نهر السنغال إلى الأندلس فكان محبا للجهاد ولتقليد العلماء ويحب أن يشرف بنفسه على الحملات والمغازي حيث غزى بنفسه بلاد الكفر والنصارى حيث جاز في فترة حكمه أربع مرات للأندلس[30].

ويبدوا أن النشأة الأندلسية للأمير كان لها تأثير كبير على شخصيته التي لم تكن صحراوية كأبيه كونه ولد في سبتة من أم مسيحية[31] فكان لثقافته الأندلسية التي تلقاها منذ نعومة أظافره دورا في انتقال المؤثرات الأندلسية إلى غرب أفريقيا[32] ، كما قرب إليه الفقهاء واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في كل شؤونه إلا بعد مشورتهم وبلغ الفقهاء في عهده منزلة عظيمة فعظم أمرهم وأصبحت أمور المسلمين راجعة إليهم وانصرف الناس إليهم فكثرت لديهم الأموال واتسعت مكاسبهم[33]، فكان من الطبيعي أن تبدأ الدولة في التراجع وأن ينتهز هؤلاء فرصة بداية الضعف ويكونوا أول المغامرين ويعلن كل منهم الاستقلال في بلده.

وظهرت أطماع أمراء المرابطين الذين كانوا يتولون المناصب الهامة فواجه الأمير "علي بن يوسف" منذ اللحظة الأولى لولايته معارضة لحكمه بداية بثورة ابنه "أبي بكر بن علي بن يوسف" في عام 500هـ/1106م وانتهت بثورة "محمد المهدي بن تومرت" 514هـ/1120م[34].

28) صلاح آدم عيسى محمد، المرجع السابق، ص. 68.
29) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص. 157.
30) ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.، ص. ص. 148-149.
31) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص. 157.
32) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص. 132.
33) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصري، بيروت، 2006، ص. 130.
34) سلامة محمد سلمان الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1985 ، ص. 87.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وفي نفس الوقت الذي ظهر فيه الخلل في الدولة المرابطية امتد الخلل إلى الصحراء وانبثقت الحزازات القبلية التي كان المرابطون الأوائل قد أضعفوها، فكان تمرد قبيلتي مسوفة ولمتونة لن يؤدي فقط للقضاء على نفوذ المرابطين في الصحراء بل سيقلل من دعم قبائل الملثمين التي تضمن للقوات الشمالية الدعم بالجيوش الملثمة[35]. وانتهزت بلاد السودان الخلاف بين قبائل الصحراء وأعلنت استقلالها ؛ فقد استقلت مملكة غانة وأصبح ملكها يخطب لنفسه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي ويصف نفسه على أنه من ذرية "صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب" ﷺ [36] ؛ بل أننا نجد الصدمة في أن الوجود التاريخي للإمبراطورية لم ينته بالفتح المرابطي حيث أن قبائل الصوصو الوثنية قد أعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانا وأخذوا يتوسعون على مملكة غانة الإسلامية وانتزعوا منها إقليم ديارا[37].

وفي نفس الوقت تبدأ المرحلة التأسيسية لمملكة مالي بعدما تمكن سليل أسرة كيتا (Kéita) التي حكمت مالي منذ بداية القرن السادس الهجري في إقليم كانجابا (Kangaba) المدعو "ماري جاطة" من الهرب واللجوء إلى إمارة ميمة السوننكية المسلمة التي استقلت عن مملكة غانا بعدما اضمحلت على يد الصوصو، ورغم انفصال هذه الممالك عن الدولة المرابطية في مراحلها الأخيرة إلا أن الصلات الطيبة لم تنقطع ولم يتوقف التأثير المرابطي في الحياة الثقافية والاقتصادية لممالك السودان الغربي بل أن الإسلام لم يتوقف عن الانتشار وقد لعبت قبائل السوننك والماندنجو والسنغاي دورا كبيرا في ذلك[38].

وظهر تأثر السودان بتعاليم المالكية في التزام أمور الدين وأداء فروض الشريعة على أبعد الحدود، ورغم أن الرحالة "ابن بطوطة" قد زار بلاد السودان الغربي بعد عصر المرابطين بحوالي قرنين إلا أنه أشار إلى التزام أهل بلاد السودان بالتعاليم المالكية وعلى مواظبتهم والتزامهم بصلاة الجماعة وضربهم أولادهم عليها وازدحام المساجد بالمصلين وحرصهم الشديد على حفظ القرآن وتعلم الدين ومعاقبتهم أولادهم بوضع القيود في أرجلهم لعدم حفظهم القرآن

35) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص. 135.
36) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص. 23.
37) ابراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص. 53.
38) أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي 1230-1430م "، إصدارات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1999، ص. 180.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وكانوا يستفتون الفقهاء ويأتمرون بأمرهم بل أن من لجأ إلى المسجد أو دار الفقيه أو الخطيب أمن العقاب ولم سيتعرض له أحد بسوء[39].

ونتج عن امتزاج التقاليد الإسلامية التى نقلها المرابطون بالتقاليد الزنجية المحلية أن ظهرت تقاليد إسلامية زنجية فترى في حياة الملوك والرعية المظاهر الإسلامية والعربية، فيذكر "الإدريسي" مركب ملك غانة فيقول : << ... ومن سيرته قربه من الناس، وعدله فيهم، وله جملة قواد يركبون إلى قصره في صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه فإذا وصل إلى باب القصر سكت، وإذا اجتمع عليه جميع قواده ركب وسار يقدمهم ويمشي في أزقة المدينة ودائر البلد فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره ويتفرق قواده، فإذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج حوله أجناده فلا يقدر أحد على قربه ولا إلى الوصول إليه، وركوبه كل يوم مرتين، سيرة معلومة وهذا مشهور من عدله...>>[40].

4. خاتمة:

وفي الأخير يمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج أهمها أنه إذا كان الملك يخرج لتفقد الرعية مرتين في اليوم فهذا يدل على عدله وخشيته من وقوع الظلم، وهو دليل على أن ممالك السودان الغربي قد قامت على أسس دينية صحيحة.

ومن خلال تمسك ممالك السودان الغربي بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح يتبين لنا أغلب ثورات السودان على المرابطين لم تكن رِدَّةً عن الإسلام بل كانت رغبة جامحة في الاستقلال السياسي عنها وتكوين كيان سياسي لها بين الممالك.

مثلت الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجري أهم المراحل وأزهى الفترات في حياة ممالك السودان الغربي الإسلامية، وساهم احتكاكها بالمرابطين وإيمانها بالدعوة المرابطية في التخلص من العادات الوثنية القديمة السيئة، وما سهل ذلك هو إسلام ملوكهم وقادتهم قبل أن يسلم شعبهم فأعطى فرصة أكبر لدعم وحماية الإسلام والدعاة والتجار.

39) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح. محمد عبد المنعم العريان، ج. 2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ص. 200.
40) الإدريسي، المصدر السابق، ص. 23.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

كان دور الفقهاء والعلماء من بلاد المغرب وخاصة المرابطين الدور الفعال في انتشار الثقافة العربية الاسلامية من خلال انتشار تداول اللغة والكتابات العربية ومناهج التعليم التي شملت كل العلوم خاصة الفقه والتفسير والحديث.

5. قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، الصفحة الإلكترونية ورتل القرآن ترتيلا.

المصادر :

- الإدريسي : أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت. 559هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج. 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- ابن بطوطة (ت. 779 هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح. محمد عبد المنعم العريان، ج. 2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987.
- البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت. 487هـ/ 1094م)، المسالك والممالك، تح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.
- البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- ابن حوقل : أبي القاسم النصيبي (ت. 367هـ/977م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992.
- ابن خلدون : عبد الرحمن (ت. 808 هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج. 6، مر. سهيل زكار، ط4، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000.
- ابن أبي زرع الفاسي(ت. 726هـ/ 1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.
- ابن السماك العاملي : أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد المالقي الغرناطي (كان حيا أواخر القرن 8هـ/14م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.
- عبد الواحد المراكشي : محي الدين بت علي التميمي (ت. 647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصري، بيروت، 2006.
- مالك بن أنس: أبو عبد الله بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ﷺ (ت. 179هـ/795م)، الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة نالك بن أنس ﷺ، إخراج وتعليق هاني الحاج، ج. 2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

المراجع :

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم "عهد المرابطين"، مج. 5، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1986.
- جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984.
- حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، القاهرة، 1981.- الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.
- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515 هـ/1038-1121 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- الشكري أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي 1230-1430م "، إصدارات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1999.
- طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، دار المكتبة العربية، القاهرة، 1970.
- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- الهرفي سلامة محمد سلمان، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1985.

الرسائل الجامعية :

- بوبكي سكينة، الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، 2010.
- صلاح آدم عيسى محمد، قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي، 448-541هـ/ 1056-1147م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا قسم التاريخ، جامعة النيلين، الخرطوم، السودان، 2017.